بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم اهدني وسددني

عِنْدَ الْصَّبَاح يَحْمَدُ الْقُوْمُ الْسُّرَى

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[النساء:١].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة.

عباد الله: إن الوصية المؤدَّاة، والنصيحة المنتقاة هي الوصية بتقوى الله، فإن فيها العزَّ بعدَ الذُّل، وبها الأمنُ بعد الخوف، وبها النجاةُ يوم الورود: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم:٧١-٧٢]، وإياكم والركونُ إلى الدنيا، إذ من ذا الذي يَبْني على موج البحر دارًا، ويتخذها مسكناً وقراراً، تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارًا.

عباد الله: استهلت سنةُ ثلاثَ عشرةَ للهجرة النبوية وقد أخذ زمام الأمور صِدِّيْقُ هذه الأمة أبو بكر الصديق، وبعد توليه الخلافة عزم على جمع الجنود ليبعثهم إلى الشام وذلك بعد مرجعه من الحج عملاً بقوله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة:١٢٣]، وبقوله تعالى:﴿ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾ [التوبة:٢٩].

واقتداء برسول الله ﷺ في الجهاد والدعوة إلى الله الذي جمع المسلمين لغزو الشام وذلك عامَ تبوك حتى وصلها في حرٍ شديدٍ وجهد، فرجع عامه ذلك، ثم بعث قبل موته أسامةَ بن زيد مولاه ليغزُوَ تُخُوْمَ الشام،

ولما فرغ الصديق من أمر جزيرة العرب بسط يمينه إلى العراق فبعث إليها خالد بن الوليد ﷺ، ثم أراد أن يبعث إلى الشام كما بعث إلى العراق فشرع في جمع الأمراء في أماكن متفرقة من جزيرة العرب.

وفي تلك السنة تجهز الروم لحرب المسلمين، فأتوا بخيلهم ورجالهم، وحدهم وحديدهم، وقظهم وقظيظهم، وقام هرقل وأمر بخروج الجيوش الرومية بصحبة الأمراء في مقابلة كلِ أميرٍ من المسلمين بجيش كثيف، فبعث إلى عمرو بن العاص ﷺ أخاً له - أي لهرقل - في تسعين ألفاً من المقاتلة، وبعث أحدَ قواده إلى ناحية يزيد بن أبي سفيان في خمسين ألفاً أو ستين ألفًا، وبعث آخرَ إلى شُرَحْبِيْلِ بن حسنة، وبعث آخر في ستين ألفًا إلى أبي عبيدة بن الجراح، وقالت الروم: لنُشْغِلَنَ أبا بكر عن أن يُورِدَ الخيول إلى أرضنا.

فتجمع أهل الصليب على حرب المسلمين من كل مكان، فكان قوم جيش الصليبين أكثر من مائتي ألفِ مقاتل، كلهم لا يرقبون في مؤمنٍ إلاً ولا ذمة.

أما عسكر أهل الإسلام فكان عددهم إحدى وعشرين ألفًا سوى الجيش الذي مع عكرمة بن أبي جهل وكان واقفًا في طرف الشام في ستة آلاف.

وعندما شعر الأمراء بهذا الخطر كتبوا إلى أبي بكر وعمر يُعْلِمَانِهِمَا بما وقع من الأمر العظيم، والخطب الجلل، فكتب إليهم أبو بكر ﷺ: أن اجتمعوا وكونوا جنداً واحدًا، والقوا جنود المشركين فانتم أنصار الله، والله ينصر من نصره، وخاذلٌ من كفره، ولن يؤتى مثلكم عن قلة، ولكن من تلقاء الذنوب فاحترسوا منها، وليصل كل رجل منكم بأصحابه.

وقال الصديق ﷺ قولته المشهورة:(والله لأشغلن النصارى عن وساوس الشيطان بخالد بن الوليد ﷺ)، فبعث إلى خالدٍ وهو بالعراق ليقدم إلى الشام في أسرع وقت فيكون الأمير على من به، فإذا فرغ عاد إلى عمله بالعراق.

ولما بلغَ هرقلُ ما أمر به الصديق أُمَرَاءَهُ من الاجتماع بعث إلى أمرائه أن يجتمعوا أيضاً، وان ينزلوا بالجيش منزلاً واسع العطن، واسع المطرد، ضيق المهرب، وجعل على الناس أخيه، وعلى المقدمة جَرْجَه، وعلى المجنبتين ماهان، والدارقص، وعلى البحر القيقلان كلهم من أعتى جنوده، وأكثرهم بأساً وشكيمة.

وعندما بلغ الكتابُ خالدَ بن الوليد ﷺ وهو بالعراق استناب المثنى بن حارثة على العراق، وسار خالدُ مسرعًا في تسعة آلاف وخمسمائة، ودليله رافع بن عميرة الطائي، فاخذ به على السماق حتى انتهى إلى

قراقر، وسلك به أراضي لم يسلكها قبله احد فاجتاب البراري والقفار، وقطع الأودية، وتصعد على الجبال وسار في غير مهيع، وجعل رافعُ يَدُلهم في مسيرهم على الطريق وهو في مفاوز معطشة.

وقبل أن يخوضوا هذه المفازة عَطَّشَ النوق وسقاها الماء عِذْلاً بعد نَهْل، وقطع مشافرها، واستاقها معه فلما فقدوا الماء وأشتد بهم المسير بعد يومين نحرها فشربوا ما في أجوافها من الماء، ووصل بتوفيق الله في خمسة أيام، فخرج على الروم من ناحية تَدْمُر فصالح أهل تدمر وأركه، ولما مر بعذراء أباحها، وغنم لغسان أموالاً عظيمة، وخرج من شرقي دمشق، ثم سار حتى وصل إلى قناة بُصرى فوجد الصحابة تحاربها، فصالَحَهُ صَاحِبُها وسلَّمها إليه فكانت أول مدينة فتحت من الشام ولله الحمد والمنة.

وبعث بأخماس ما غنم من غسان مع بلال بن الحارث المزني إلى الصديق ثم سار خالد وأبو عبيدة ومرثد وشرحبيل إلى عمرو بن العاص وقد قصده الروم بأرض العَرْبَا من المِعْوَر، فكانت واقعة أجنادين.

وقد كان بعض العرب قال له في هذا المسير إن أنت أصبحت عن الشجرة الفلانية نجوت أنت ومن معك، وان لم تدركها هلكت أنت ومن معك، فسار خالد بمن معه وسروا سروة عظيمة، فأصبحوا عندها فقال خالد:(عِنْدَ الْصَّبَاح يَحْمَدُ الْقَوْمُ الْسُّرَى) فأرسلها مَثَلاً وهو أول من قالها ﷺ. البداية والنهاية(٧/ ٤-٦).

فبعد هذه الرحلة العظيمة من العراق إلى الشام وهذه الرحلة يقطعها النَّاس في الطريق المعروف في شهر، وخالدُ قطعها في خمسة أيام مع طريق مفازة، وعلى قلة من الماء، بل معه جيشٌ جرار فيه الخيل والإبل، وقد سار بهم سيراً عظيماً في طريق هو عند العرب مهلكة، وشد بهم المسير حتى سارَ بِهِمُ الليْلَ الطويل، فلما أصبحوا ورأوا إخوانهم قال كلمته المشهورة:(عِنْدَ الْصَّبَاح يَحْمَدُ الْقَوْمُ الْسُّرَى).

فهذه العبارة أصبحت مثلًا يقال، وحكمة تروى لأصحاب الهمم العلية، والنفوس العظيمة الأبية...

عند الصَّباح يحمدُ القومُ الْسُّرَى *** وتنجلي عنهم غياياتُ الكرى

خطبتنا بعنوان: عِنْدَ الْصَّبَاح يَحْمَدُ الْقَوْمُ الْسُّرَى، وهذه العبارة تعني أن من جد واجتهد، وتعب وسهر لتحصيل المنافع والمعالي، فعندما ينتهي من عَمَلِه، ويقضي شغله يحمَدُ تَعَبَهُ ذَلك، ويكونَ من الناجحين المفلحين، وعكسه من ركب مركب الكسل، ووضع نفسه موضع السآمة والملل فعندما يفوز الفائزون، ويحمَدُ أهلُ الجد جدهم، كان هو ممن يندب حضه، ويقرع سنه، ويتباكى على إهمالِه وكَسَلِه.

عِنْدَ الْصَّبَاح يَحْمَدُ الْقُوْمُ الْسُّرَى... للجادين الحازمين، والصابرين المحتسبين، والباذلين الناصحين، جمعوا بين العلم والعمل وآثروهما على ما سواهما، وهجروا الجهل والبطالة؛ قال ابن القيم – رحمه الله تعالى – :(العلم والعمل توأمان، أُمُّهُما علو الهمة؛ والجهلُ والبطالةُ توأمان، وأُمُّهُما إيثار الكسل) بدائع الفوائد(٢/٢٣٨) مكتبة المؤيد.

عِنْدَ الْصَّبَاح يَحْمَدُ الْقُوْمُ الْسُّرَى... للقائمين الراكعين، وللساجدين المنيبين في ظلمة الليل، من يراوحون بين أقدامهم من طول القيام، ويستعينوا بالركب من طول السجود؛ قال الإمام الأوزاعي - رحمه الله تعالى -:(خرجت حاجًا فدخلت مدينة النبي ﷺ بليل فأتيت مسجد النبي ﷺ فإذا بشاب بين القبر والمنبر يتهجد، فلما طلع الفجر استلقى على ظهره، ثم قال: عِنْدَ الْصَّبَاح يَحْمَدُ الْقُوْمُ الْسُّرَى) شعب الإيمان للبيهقي(٣/١٦٩). **وصدق وربِ الكعبة، فيا من يستعظم أحوال القوم تنقل في المراقي تصل.**

عِنْدَ الْصَّبَاح يَحْمَدُ الْقُوْمُ الْسُّرَى... يتلذذ بهذه الكلمات من لله عَمِلَ، وله ضَحَى وبَذَل، فجلد ذاته على عتبة العبودية، وكسر نفسه في محراب الألوهية، واتعب نفسه لله رب البرية؛ قال القاسم بن راشد الشيباني:(كان زَمْعَةُ نازلاً عندنا بالحصيب، وكان له أهلٌ وبنات، وكان يَقُوْمُ فيصلي ليلاً طويلاً، فإذا كان السَحَرُ نَادى بأعلى صوته: يا أيها الركب المعرسون، كل هذا الليل ترقدون؟! ألا تقوم فترحلون، قال: فيتواثبون فتسمع من هاهنا باكيًا، ومن هاهنا داعيًا، ومن هاهنا قارئاً، ومن هاهنا متوضئًا، فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته: عِنْدَ الْصَّبَاح يَحْمَدُ الْقُوْمُ الْسُّرَى) التهجد وقيام الليل لابن أبي الدنيا(ص:١٧٠).

عباد الله: عِنْدَ الْصَّبَاح يَحْمَدُ الْقُوْمُ الْسُّرَى...للمستغلين لأوقاتهم، المحافظين على أعمارهم، الطالبين لِرِضَا ربهم، الساهرين لتحصيل العلم، فهجروا الفراش الوثير، والأرائك والنمارق؛ قال ابن القيم – رحمه الله تعالى – : (من نام على فراش الكسل ، أصبح ملقي بوادي الأسف) بدائع الفوائد(٢/٢٣٤).

عِنْدَ الْصَّبَاح يَحْمَدُ الْقُوْمُ الْسُّرَى... لمن عرف قدر الدنيا وحقارَتها، واستعد للآخرةِ وجنتِها، حث داعي الفلاح طائفة التقى والصلاح على أن تُؤدي فَرْضَها ونَفْلَها، وترتقي بخضوعها بين يدي ربها درجات السعادة التي كانت أحقَّ بها وأهلها؛ قال أبو كريمة الكلبي - وكان من عباد أهل الشام - :(ابنُ آدم ليس لما بقي في الدنيا من عمرك ثمن، وعند الصباح يحمد القوم السرى، وعند المهات يحمد القوم التُقَى) حلية الأولياء(١٠/١٥).

عِنْدَ الْصَّبَاح يَحْمَدُ الْقُوْمُ الْسُّرَى... للحاملين أرواحهم فوق أكفهم، والباذلين نفوسهم كريمة لربهم، باعوا الدنيا، واشتروا الآخرة، أرخصوا لها كلَّ شيء، الأولاد والذرية، والأموال والحرية، والزوجة والدور العلية.

عِنْدَ الْصَّبَاح يَحْمَدُ الْقُوْمُ الْسُّرَى... يعرف المجاهدون مَقَعَدَهُم من ربهم ومولاهم، فيرضون بربهم ويرضى بهم.

لقد يحمد القوم الْسُّرَى في صَبَاحِهِمُ *** زمان تلاق عنده الشملُ يُجْمَعُ

وهـــا أنا أسـري في ظلامي وإنني *** أذم صبـــاحي والخلائـق هُجَّعُ

أقول لصبري أنت ذخري لدى النوى *** وذخرُ الفتى حقاً شفيعٌ مشفعُ

فيا من يلوم الباذلين والناصحين، والقائمين العابدين، والمجاهدين الصادقين، أقول لهم بكل صوت مسموع:

عِنْدَ الْصَّبَاح يَحْمَدُ الْقُوْمُ الْسُّرَى *** وتنجلي عنهم غياياتُ الكرى

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:﴿ وَقَالُوا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴾ [الزمر:٧٤].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وأيَّا كم بما فيه من الآيات والذكرِ الحكيم، أقول ما سمعتم وله وعيتم، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب وخطيئة، فاستغفروه وتوبوا إليه إن ربي لغفور رحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وصلاة وسلاماً على نبيه الذي اصطفى، وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

أما بعد: فيا عباد الله لا أوصيكم بدنياكم فأنتم بها مستوصون، إنما أوصيكم بأخراكم التي إليها تنقلبون، فالدنيا دار ممر، والآخرة هي المستقر، فاعملوا للدنيا بقدر بقائكم فيها، واعملوا للآخرة بقدر دوامكم فيها.

عباد الله: هذه الدنيا ما هي إلا دارُ ممر لا مستقر، فهي جسر معلقٌ إلى الآخرة، يوشك السالكُ السقوط، فكونوا فيها من أبناء الآخرة تُفلحوا، ولا تركنوا إلى الدنيا فتَهْلَكوا؛ هذه الدنيا مزرعة للآخرة، فهنيءً من بالخير زرع، وعن الشر أقلع وخلع.

لّما كبر سنُ أبي موسى الأشعري ﷺ زادَ اجتهاده، وكثرت عبادته فقيل له في ذلك، فقال:(إنّ الخيل إذا قاربت رأس مجراها أخرجت جميع ما عندها، والذي بقي من أجلي أقل من ذلك)، فجاءه الأجل وقد كُسِيَ مُحَيَّاه إشراقة من يرجو لقاء ربه، وراح لسانه في لحظات الرحيل يردد كلمات اعتاد قولها دوما :(اللهم أنت السلام، ومنك السلام) تاريخ دمشق(٣٢/٨٩).

فلقي ربه تبارك وتعالى ولسان حاله يقول: عِنْدَ الْصَّبَاح يَحْمَدُ الْقُوْمُ الْسُّرَى.

ألا وجدوا عباد الله واجتهدوا فيما بقي من أعماركم، وسارعوا للقربات فإن الأجل قريب، والموت يقين لا شك فيه، فلا يكن عندك شك لا يقين فيه.

ألا وصلوا - عباد الله - على خير البرية أجمعين، ورسولِ رب العالمين، إذ أمركم بذلك ربكم الكريم بقوله:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦].

اللهم صل وسلم على نبينا محمد، وعلى آله الأطهار وصحابته الأماجد الأخيار، المهاجرين منهم والأنصار، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن سائر العشرة المبشرين بالجنة، والصحابة أجمعين.

اللهم اجعلنا من أبناء الآخرة ولا تجعلنا من أبناء الدنيا، اللهم اختم بالصالحات أعمارنا، وبالسعادة آجالنا.

اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفرَ والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا.

اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء، ومن درك الشقاء، ومن سوء القضاء، ومن شماتة الأعداء.

اللهم أعز الإسلام وانصر المسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداءك أعداء الدين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين.

اللهم يا رب العالمين أحفظنَا وبلادنَا وبلادَ المسلمين من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم جنبنا الزلازل والمحن، والآفات والنقم.

اللهم انصر إخواننا المجاهدين في كل مكان، اللهم ثبت أقدامهم، ووحد صفوفهم، وسدد رميهم، وأحفظ قادتهم، وكن لهم مؤيداً ونصيراً، ومعيناً وظهيراً.

اللهم عليك بالذين يحاربون دينك وأولياءك من النصارى والنصيريه، والرافضة المجوسية، ودهاقنة العلمانية، اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تغادر منهم أحداً؛ اللهم اجعل أمرهم في سفال، وسعيهم في وبال، اللهم لا ترفع لهم راية، ولا تحقق لهم غاية، واجعل هم لمن خلفهم عبرة وآية.

اللهم أبرم لهذه الأمة أمراً رشداً يُعز فيه أهل الطاعة، ويذل فيه أهل المعصية، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر يا سميع الدعاء.

عباد الله: إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون، وصلى الله وسلم على نبينا محمد ﷺ.

وكتبها الفقير

إلى عفو سيده ومولاه

ظَافِرُبْنُ حَسَنْ آلْ جَبْعَان